# فرانز فانون ١٩٢٢-١٩٦١

الثورة ضد الاستعمار

# نبذة عن حياته

- فرانز فانون، أسود من جزر المارتينيك، ولد عام 1922 في هذه المستعمرة التي يحمل سكانها الجنسية الفرنسية.
- جاء الى فرنسا لإكمال تحصيله العلمي، فدرس الطب في مدينة ليون، فأظهر في تفوق ونبوغ.
- تخرج متخصصا بالطب العقلي وعين طبيبا للأمراض العقلية بمدينة بليدة الجزائرية.
- رافق فانون ثورة الجزائر من بدايتها. قرر فانون أن ينضم الى صفوف الثوار، ففي عام 1957 قدم استقالته من منصبه كرئيس لمستشفى الامراض العقلية – في رسالة استقالته وصف جريمة الاستعمار الغربي الذي يخضع الانسان ويقتل انسانيته - وانخرط في ثورة الجزائر انخراطا كاملا.

## مشروعه الفكري

- دوّن في كتابه الاول "العام الخامس للثورة الجزائرية" كيف يشوّه الاستعمار الطبيعة الانسانية وقد اعتمد في كتابه على دراسة مرضاه الجزائريين.
- **ومن مراقبته للثورة رأى كيف تحمل الى النفوس البرء والتطهر، وكيف تغسل المجتمع الثائر من الجمود والتأخر، وتعتقهم من قيود العادات البالية التي كانت تسيطر عليهم.**
- **له العديد من الكتب المشهورة: معذبو الأرض، وجلود سمراء واقنعة بيضاء**

## احد مؤلفاته الشهيرة

- **كتاب معذبو الأرض**

# فصل في العنف

إن محو الاستعمار هو دوما حدث عنيف

إن محو الاستعمار على أي مستوى درسناه: سواء أكان مستوى لقاء الأفراد بعضهم ببعض، أم مستوى تسمية النوادي الرياضية بأسماء جديدة، أم مستوى التشكيل الإنساني لحفلات الكوكتيل وأجهزة الشرطة ومجالس إدارة المصارف القومية أو الخاصة، إنما **هو إحلال "نوع " إنساني محل "نوع " إنساني آخر، إحلال كليا، كاملا مطلقا، بلا مراحل انتقال...**

ففي محو الاستعمار يجب إذن تغيير الوضع الاستعماري تغيرا كاملا.

" الأواخر سيصبحون الأوائل".

# الهيمنة والسيطرة

إن العالم المستعمر منقسم إلى عالمين. والخط القاسم، أو الحدود الفاصلة إنما هي لثكنات ومراكز الشرطة. فالدركي والشرطي في المستعمرات هما المرجع القيم الشرعي الذي يستطيع المستعمر أن يرجع إليه وان يخاطبه، وهما الجهة التي تنطق بلسان المستعمر ونظام الاضطهاد.

إننا نرى في البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من أساتذة الأخلاق والموجهين والمصلحين تقف حائلاً بين المستغَل والسلطة الحاكمة. أما في المناطق المستعَمرة فان الدركي والشرطي

بحضورهما المباشر وتدخلاتهما السريعة الكثيرة، يظلان على اتصال بالمستعَمر وينصحانه بالعصا أو بالمواد المحرقة، أن لا يتحرك. وهكذا ترون أن وسيط السلطة الحاكمة يستعمل هنا لغة هي عنف صرف. إن الوسيط لا يخفف هنا الاضطهاد، ولا يسدل على السيطرة حجابا... انه يعرضهما، انه يظهرهما. إن الوسيط يحمل العنف إلى بيوت المستعَمر والى أدمغته.

# وصف المدينتين

- إن مدينة المستعمر أو المستوطن مدينة صلبة مبنية بالحجر والحديد، مدينة أنوارها ساطعة، وشوارعها معبدة بالإسفلت وصناديق القمامة فيها ما تنفك تبلع نفايات ما عرفها الآخرون، ولا رأوها يوما، ولا حلموا بها يوما. والمستعمر لا ترى قدماه عاريتين قط، الهم إلا على شواطئ البحر
- أما مدينة المستعَمر، أو مدينة السكان الأصليين، أما القرية الزنجية، أما بلدة الأهالي. أما الحي الذي يحظر على الأوربيين أن يتجولوا فيه، فهو مكان سيئ السمعة يسكنه أناس سيئو السمعة
- الانتماء على أساس العرق.
- تحطيم العالم الاستعماري لا يعني انه سيحافظ على ممرات بين المنطقتين، بعد إزالة الحدود التي تفصل أحدهما عن الأخرى. إن تحطيم العالم الاستعماري لا يعني إلا شيئا واحدا هو إزالة إحدى هاتين المنطقتين، فإما دفنها في أعمق أعماق الارض، واما طردها من البلاد.

# حضارة المستعمِر في عين المستعمَر

- في فترة من التحرر من الاستعمار يناشدون عقل المستعَمرين، ويعرضون عليهم قيما أكيدة، ويشرحون لهم في كثير من الإفاضة أن التحرر من الاستعمار يجب أن لا يعني التقهقر إلى وراء وأن عليهم أن يعتمدوا على قيم مجربة وطيدة راسخة. غير أن ما يحدث هو أن المستعَمر حين يسمع خطابا عن الثقافة الغربية، يخرج خنجره أو يتلمسه في مكانه ليتأكد من وجوده. ذلك أن العنف الذي كفل تفوق قيم البيض، وأن العدوان الذي لابس المعركة الظافرة التي خاضتها هذه القيم من أنماط الحية والفكر الخاصة بالمستعَمرين، يجعلان المستعمر يسخر حين يتحدث أحد أمامه عن هذه القيم.

# المثقف في مناطق الكفاح المسلح

كان المستعَمر يسلم بهذه الأفكار، فكأن حارسا يقظا مكلفا بالدفاع عن الثقافة الإغريقية اللاتينية أصبح يقف في ثنية من ثنايا عقله. أما أثناء الكفاح من أجل التحرر، في اللحظة التي يسترد فيها المستعَمر اتصاله بشعبه، فان هذا الحارس المصطنع يتهشم. فإذا جميع القيم التي تسمى قيم البحر الأبيض المتوسط التي تنادي بانتصار الشخصية الإنسانية، وتدعو إلى الوضوح والجمال. تصبح دمى لا حياة فيها ولا لون، وإذا جميع تلك الخطب تبدو تركيبات ألفاظ ميتة.

في المناطق التي أتاح فيها طول المرحلة المسلحة للمثقفين أن يعودوا إلى القواعد الشعبية نشاهد استئصالا حقيقيا للأفكار التي استمدها هؤلاء المثقفون من الأوساط البرجوازية الاستعمارية قد استطاعت في حوارها النرجسي مع نفسها، وبواسطة رجالها الجامعيين، أن تغرس في أعماق المستعَمر أن الماهيات تبقى خالدة رغم جميع الأخطاء التي تنسب إلى البشر، وهم يعنون الماهيات الغربية طبعا.

# المثقف في المناطق بدون الكفاح المسلح

- يحدث أن تتم تصفية الاستعمار في مناطق لم يهزها الكفاح التحرري هزا كافيا. فإذا نحن نصادف هؤلاء المثقفين أنفسهم الذين يتصفون بالبراعة والمكر والحذق في تحقيق أغراضهم الشخصية، وإذا نحن نجد فيهم عين أنماط السلوك وأشكال التفكير التي التقطوها من معاشرتهم للبرجوازية الاستعمارية، لقد كانوا للاستعمار أبناءه المدللين، وهم الآن للسلطة أبناؤها المدلين أيضا، ينهبون الموارد الوطنية نهبا، ويندفعون إلى الإثراء بالصفقات والسرقات المشروعة اندفاعا لا يعرف الرحمة، عن طريق الاستيراد والتصدير، والشركات المغفلة، ومضاربات البورصة، والرشوة... على أكتاف البؤس الذي أصبح الآن وطنيا. انهم يطالبون في إلحاح أن تكون الأعمال التجارية في أيدي أبناء الأمة وحدهم. ومعنى ذلك عندهم أن تحصر سرقة الأمة في أبناء الأمة.
- أن المثقف يتصرف في هذه الفترة تصرف رجل انتهازي رخيص، والحق أن مناوراته لم تنقطع لحظة، والشعب لا يريد أن يبعده أو يحرجه، فما يريد الشعب منه هو أن يكون كل شيء مشتركا. ووجود ذلك الميل الغريب إلى التفاصيل لدى المثقف هو الذي سيؤجل انغماس المثقف في الموجة الشعبية العارمة.

# التحولات في وعي المستعمر

- التطهر من الخرافات والخزعبلات:

• حين يجعل ظهره إلى الجدار، وتوضع السكين على عنقه، أو يقرب السلك الكهربائي من أعضائه الجنسية، يضطر إلى هجر تلك الخزعبلات انه بعد أن أنفق من عمره سنوات في الأوهام والأخيلة، بعد أن غرق في تلك التهاويل الغريبة، يمسك الآن رِشاشه بيده، ويقاتل القوى التي كانت وحدها تنكر وجوده وكيانه، أعني قوى الاستعمار. والمستعَمر الشاب الذي ينمو ويترعرع في هذا الجو من الحديد والنار يستطيع أن يسخر –وهو يسخر حقا –من الأجداد والأشباح، والخيول ذات الرأسين، والموتى الذين يستيقظون، والجن الذين يترقبون أن يتثاءب المرء حتى يتسللوا إلى جسمه، إن المستعَمر يكتشف في الواقع ويبدله حين يقوم بحركة نضالية، ويمارس العنف، ويعمل في سبيل التحرير.

# مظاهر التحول في المجتمع الثائر

- حين يجيء كفاح التحرير، فان هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسم إلى طوائف وهمية،
- هذا الشعب الذي كان فريسة رعب هائل لا يغلب، وكان مع ذلك سعيدا بضياعه في زوبعة الأوهام، بتبدل أثناء كفاح التحرير، وينظم نفسه تنظيما جديدا، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدا، مباشرة جدا. فتقديم الطعام للمجاهدين، والقيام بأعمال الحراسة والمراقبة، ومساعدة الأسر المحرومة مما يقيم الأود، والنهوض بأعباء زوج قتل أو سجن، تلك مهمات محسوسة ملموسة يدعى إليها الشعب أثناء كفاح التحرير.

# فكرة التسوية السليمة:
# بين القضاء الحقيقي على الاستعمار والتصفية الكاذبة للاستعمار

- متى يمكن القول إن الوضع قد نضج إلى الحد الذي يجب فيه القيام بحركة تحرير وطني! ومن هي الطليعة التي يجب أن تقوم بهذه الحركة؟ فلأن القضاء على الاستعمار قد أتخذ أشكالا مختلفة وصور متعددة، فان العقل يتردد إزاء هذه المسألة، ويمتنع عن القطع برأي فيما هو قضاء حقيقي على الاستعمار وفيما هو تصفية كاذبة للاستعمار
- فمهت النخبة المثقفة والاقتصادية المستعَمرة من مناداة البرجوازية الاستعمارية "باللا-عنف" على هذه الصورة الخاصة أن لهذه البرجوازية الاستعمارية نفس المصالح التي لها، وأن من الضروري المستعجل والحالة هذه أن تبادر إلى عقد اتفاق معها يضمن سلامة الطرفين.
- يقود ذلك الى فكرة التسوية

# الدور التاريخي للبرجوازية الوطنية: دور مشوه

- لقد رأينا أن هدف الأحزاب الوطنية يصبح منذ مرحلة من المراحل هدفا قوميا تماما. فهو يعبء الشعب حول شعار الاستقلال، مرجئا ما عدا ذلك للمستقبل. فإذا سألت رجال هذه الأحزاب عن البرنامج الاقتصادي الذي ستستلزمه الدولة، وعن النظام الذي يريدون إقامته، رأيتهم عاجزين عن الإجابة، لأنهم يجهلون كل الجهل اقتصاد بلادهم. ومع ذلك ما تفتأ البرجوازية الوطنية تطالب بتأميم الاقتصاد والقطاعات التجارية. ذلك أن التأميم عندهم لا يعني وضع مجموع الاقتصاد في خدمة الأمة، وتحقيق كافة حاجاتها، وهو لا يعني تنظيم جميع شؤون الدولة على أساس علاقات اجتماعية جديدة يراد تسهيل وجودها، وإنما يعني التأميم عندها نقل الامتيازات الموروثة من العهد الاستعماري إلى أهل البلاد.
- ولما كانت البرجوازية لا تملك الوسائل المادية، ولا الوسائل العقلية الكافية )مهندسين، فنيين( نراها تكتفي بوضع اليد على مكاتب الأعمال وبيوتات التجارة التي كان يشغلها المستوطنون الأجانب. إن البرجوازية الوطنية تحتل الأمكنة التي كان يشغلها الأوروبيون: أطباء ومحامين وتجار وممثلي شركات ووكلاء عامين ووسطاء. انه تشعر أن من واجبها، حفاظا على كرامة البلاد وحفاظا على نفسها، أن تحتل جميع هذه المراكز

# مقارنة بين البرجوازية الوطنية والاستعمارية

- إن روح التمتع والتلذذ هي المسيطرة لدى البرجوازية الوطنية في البلدان المستعَمرة. ذلك إنها على المستوى النفسي تشبه البرجوازية الغربية وتستمد منها تعاليمها، وتقتفي آثارها في الجانب السلبي وتنحط دون أن تكون قد قطعت مراحل الاستكشاف والابتكار الأولى التي قطعتها البرجوازية الغربية، وحققت بها أشياء إيجابية على كل حال. إن البرجوازية الوطنية في أول عهدها تشبه البرجوازية الغربية في آخر عهدها. وما ينبغي أن نظن أنها تغذ السير وتحرق المراحل. فإنما هي في حقيقة الأمر تبدأ بالنهاية. لقد دلفت إلى الشيخوخة المتهدمة قبل أن تعرف ما يعرفه عهد الصبا والمراهقة من نزق وتهور واندفاع.